Romano-Arabica
Nr. XXIII, 2024, p. 25-31
ISSN 1582-6953, e-ISSN 3044-8670
DOI: 10.62229/roar_xxiii/2

حنان حطاب[1]
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

أنسنة الحيوان في الأدب العربي: رمزيات التخييل وجماليات التوظيف

ملخص. تتغيا هذه الورقة البحثية ولوج مسالك الخطاب العربي، للكشف عن أنسنة الحيوان وطريقة توظيفه في الأدب، حيث تجاوز نمطية السرد والوصف المقترنة بالشخصيات الإنسانية، إلى الكتابة عن الحيوان أو على لسانه، هذا الأخير الذي أضحى بطلا رئيسا يصنع الحدث وينفذ عميقا إلى الحيوات الإنسانية، ويتخذ مكانة بارزة ضمن الكتابة الأدبية. ومن ثمة يتحول الحيوان – في حضرة الكتابة – إلى كائن عاقل وحالم وقادر على أن يؤنس الفرد ويعوض وحشته.
إن اللافت في مسألة توظيف الحيوان، هو عناية الأديب بالجانب التخييلي والترميزي الجمالي دون إهمال للتداعيات والمقاصد الكامنة. ومن ثم حظي هذا النمط من الكتابة بأهمية بالغة ومكانة فريدة في الثقافة العربية قديما وحديثا.

مقدمة

لعل أول ما يطالع القارئ العربي هو قيمة الحضارة العربية والتراث الإسلامي والإنجازات البلاغية والنقدية بوصفها منارة العلم والفكر وقبلة الفلاسفة والأدباء، فقد أبدع الأدباء العرب في تدوين أفكارهم وتوثيق بلاغتهم، والبحث عن أشكال جديدة في الكتابة تمنح خطاباتهم التفرد والديمومة.

والحال أن أبرز ما ظهر في الأدب العربي القديم الاستثمار اللافت للحيوان[2] والتوظيف الذي حظي به في الثقافة العربية بوصفه تقليدا ينتهجه الأدباء، فكان الحيوان ناطقا فاعلا ومشاركا رئيسا في الأحداث، فأسندت إليه مهمات وتجارب وأفكار، وأصبح الحيوان في حضرة الكتابة يشترك مع الإنسان في العديد من المشاعر، يحب ويكره ويشعر ويخون ويقتل وينتقم. وألصقت به الكثير من الصفات، فهذا الثعلب – مثلا – رمز الخبث والخداع، فيما كان الأسد رمزا للقوة، وجاء الكلب تعبيرا عن الوفاء وأحيانا عن الذل والمهانة، فيما وصفت الطيور بالوداعة واللطافة. فكان لكل حيوان دلالته ورمزيته العميقة التدلال. ولئن كان هذا رأي الأدباء فإن العلماء والفلاسفة تباينت نظراتهم للحيوان، ففريق منهم يرى أنه كائن مجرد من الوعي والعقل مهتديا في رأيه بطروحات ديكارت، فيما ينظر الفريق الثاني إليه بوصفه مهيأ بجميع مميزات البشر العقلية، مهتديا بمذهب التشبيهية الإنسانية[3] Anthropomorphism. ورغم هذا الاختلاف والتباين حوله، لازم الحيوان كتابات الأدباء وتعددت مقاصد توظيفه.

---

[1] E-mail: h.hattab@univ-setif2.dz

[2] تعرف موسوعة الإنكارتا الإنجليزية في طبعتها لسنة 2006، قصة الحيوان في المادة المخصصة لها بأنها حكايات وأساطير شعبية تحتل فيها الحيوانات مقدمة الصورة، بوصفها أشخاصا رئيسين أو مشاركين مهمين في تطور الأحداث.

[3] أحمد بهجت: قصص الحيوان في القرآن، دار الشروق، ط4، 2000، ص11.

أولا: أنسنة الحيوان من القصص القرآني إلى الأدب العربي

إن أبرز مظهر من مظاهر وجود الحيوان في القرآن الكريم، هو أن عديد السور القرآنية سميت باسم الحيوان، وعلى سبيل المثال لا الحصر: سورة البقرة، سورة الأنعام، سورة النحل، سورة الفيل...

وهذه التسميات مرتبطة بطبيعة الموضوع المعالج في سورة بعينها، وكذا اشتمالها على ذكر بعض الأنعام والإشارة إلى منافعها وفوائدها وقيمتها بالنسبة للإنسان. كقوله تعالى في سورة النحل الآية 8: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، أو ارتباطها بمعجزات معينة، وقصص معبرة، تعظ البشر وتلفت عنايتهم للتدبر في ملكوت الخلق. مثل قول العزيز الحكيم في سورة البقرة الآية 26: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ).

وقد تم توظيف مجموعة من الحيوانات التي حملت دلالات قوية في التاريخ، كالفيل والغراب والذئب والدابة وطائر الهدهد وغيرها، فتحول الحيوان من كائن حي إلى آية من آيات الله سبحانه وتعالى يرسل عبرها رسالات أخلاقية وحكما ومواعظ، وقد أورد صاحب كتاب قصص الحيوان في القرآن عددا نذكر منها:[4]

-الغراب الذي بعثه الله لابن آدم ليريه كيف يواري سوأة أخيه.
-الطير التي ذبحها إبراهيم وفرقها على قمم الجبال وبعثها الله من الموت.
-بقرة بني إسرائيل التي أمر موسى بذبحها لكشف جريمة قتل غامضة.
-الذئب الذي اتهم ظلما باتهام يوسف.
-هدهد سليمان الذي أطلعه على نبأ بلقيس.
-دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان وهو ميت على كرسيه، فخر عليه السلام على وجهه.
-حمار عزير الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه أمام عيني صاحبه.
-الحوت الذي ابتلع يونس في جوفه زمنا، ثم قذفه إلى البر لأنه كان من المسبحين.
-كلب أهل الكهف الذي نام مع أصحاب الكهف ثلاثمائة عام وتسع سنوات.
-نملة سليمان التي نادت على النمل أن يدخل مساكنه حتى لا يحطمهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون.
-فيل أبرهة الذي كان مكلفا بهدم الكعبة، ثم سمره الخوف من الله تعالى في مكانه فلم يتقدم.

في مقابل هذا، عرف الأدب العربي المتوسل بالحيوان مصادر متعددة استثمرت الخرافات والأساطير القديمة، كما نقلت عن المأثور الفارسي والهندي، إضافة إلى ما أبدعه العرب مضمنين كتاباتهم "الحيوان"، وهذا ما حاول ابن النديم في الفهرست تأكيده من خلال الإشارة إلى جملة من الأدباء ممن تحدث على ألسنة الطير أو الحيوان عموما، وقد ذكر منهم: ابن المقفع، سهل ابن هارون، علي بن داوود، إخوان الصفا، الجاحظ في البيان والتبين وفي كتابه الحيوان، كذلك حياة الحيوان للدميري وغيرهم... ولعل أبرز مرجع في تاريخ الأدب كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع [5]الذي ترجم عن الأدب الفارسي، وضم مجموعة من القصص التي جعلت المؤلف يحتفي برموز الحيوان ويتوارى خلفها لتحقيق أغراضه. وهذا الكتاب يعد أول مرجع أدبي في موروثنا الحكائي انتقل بقصص الحيوان من المرويات الشعبية الشفوية إلى التدوين. ولهذا فهو يحتل مكانة بارزة في مدونة الأدب العربي ترجمة وتجنيسا أدبيا متفردا ومقصدية حكمية بالغة.

---

4 أحمد بهجت: قصص الحيوان في القرآن، مقدمة، ص7.

5 هو أبو محمد عبد الله روزبه بن دانويه، المشهور ب"ابن المقفع" الفارسي الأصل العربي اللغة، كان اسمه قبل إسلامه "روزبه" وبعد إسلامه عبد الله، أسلم في عصر الدولة العباسية على يد عيسى بن علي، فترك اسمه الفارسي روزبه وكني بأبي عمر. تم بأبي محمد عندما ولد له ابنه الذي سماه محمدا. أما سنة ولادة ابن المقفع فلم تحدد بدقة، وعلى الأرجح أنها كانت عام 106 ه- 724 م في قرية "جور" وهي مدنية "فيروز آباد" الحالية، وتوفي سنة 124 ه- 759 م.

والحال أن الكتاب تجاوز الترجمة للنسخة الأصلية، "فتصرف في أسلوب السرد ومعانيه بما يتوافق والذوق العربي"[6]. كما حظي باهتمام بالغ، فترجم لأكثر من سبعين لغة منها الفارسية والتركية والإيطالية والأرمينية واليونانية والإسبانية والعبرية والفرنسية وغيرها، وقد أثار الكتاب اهتمام الأدباء من مشارق الأرض إلى مغاربها. فتأثر بترجمته الفرنسي لافونتين، وكتب شعرا على منواله، نال به حضوة كبرى في العالم، ليؤثر هذا الأخير بدوره في الشاعر العربي أحمد شوقي، والذي صرح في مقدمة الجزء الأول من "شوقيات" فقال:

"وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب "لافونتين" الشهير، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث، أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها. فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره."[7]

إضافة إلى هذا، برز كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي صدح هو الآخر بحكايا الحيوان الغائرة في المخيال الشعبي العربي، فظهر الحيوان في مثابة وسيلة رمزية للبوح عن القضايا الشائكة التي يعجز الإنسان عن التصريح بها. وكان وسيلة تعويضية تفضح إشكالات الهيمنة ومركزيات السلطة والصدامات الحضارية والسياسية وحتى العقد النفسية التي يعيشها الإنسان.

والواقع أن الجاحظ[8] في كتابه الحيوان، كان سباقا في الكتابة في باب "علم الحيوان" فهو أول كتاب عربي في هذا الشأن، وله الفضل على جميع من عاصره أو سبقه على حد تعبير عبد السلام هارون.

تكأة على ما سبق، اعتمد الأديب العربي على الطاقة البالغة التي يكشفها توظيف الحيوان رمزا للحكي، ومقاما للبوح والتعبير، وملجأ لحرية صاحبها والخوض في المسكوت عنه، والتفكير في اللامفكر فيه، وفق آليات ترميزية تنطلق من الواقع، لكنها تتجاوزه نحو عوالم التخييل.

والحال أن أنسنة الحيوان واستثماره برزت بشكل لافت في دراسات الأدب الجاهلي، حيث تغنى الشعراء بالإبل والحيوان الوحشي والنوق والظبي ... فكان الحيوان هو الصاحب والمؤنس والمحاور والشاهد على رحلاتهم وقصصهم ومغامراتهم، "فالشعر العربي وبخاصة البدوي منه، قد تحدث عن الحيوان حديثا طويلا، تحدث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشي، بل أشرك بين هذا وذاك..."[9].

وقد صاغ الشعراء أبلغ الأشعار عن حيواناتهم التي باحوا لها بأسرار الوجد والشوق والولع لرؤية الحبيبة، فكان الخيل مثلا من أحب الحيوانات إليهم، وأكثرها ورودا في أشعارهم. وفي هذا الصدد نستذكر قول ابن عباس:[10]

أحبوا الخيل واصطبروا عليها فإن العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيَّعَها رجال ربطناها فشاركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

كما أنشد مالك بن الريب راثيا نفسه، ذاكرا الأشياء التي ستبكيه بعد رحيله ومن بينها فرسه؛ لأنه مؤنس وحشته، وشاغل وحدته، وساقيه إذا عطش فقال:[11]

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشقر خنذيذ يجرُ عنانه إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

---

6 بديع محمد جمعة: دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 198، ص192.

7 محمد غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه الادب العربي المعاصر، ص88.

8 قيل عن الجاحظ: كان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس بغيره من علوم الدين والدنيا، وله كتب مشهورة في نصرة الدين. والجاحظ عظيم القدر عند المعتزلة ... ينظر: شمس الدين محمد الذهني: سير أعلام النبلاء، تح وإش: صالح السمر، شعيب أرنؤوط، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1402ه/1982م، ص527،526.

9 أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، ج1، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان،1969، ص18.

10 القرطبي يوسف بن عبد الله بن محمد: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي، الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 69.

11 ديوان مالك بن الريب، تحقيق: د. نوري محودي القيس، مستل من جملة معهد المخطوطات العربية، مج 15.ج1.

كما توسلوا بالحيوان وصفا لأعدائهم وخصومهم وشبهوهم بحيوانات مفترسة أو تتصف بالخبث والغدر كالأفاعي والحيات والثعالب. فيما تحدث بعض الشعراء عن ولعهم بحيواناتهم. ولعل من أشهر وأطرف ما ورد في كتب الأدب ما روي عن بشار بن برد وحماره:

ذكر الرواة أنه مات لبشار بن برد حمار، فلما زاروه وجدوه مغموما محزونا على حماره، قائلا إنه رأى حماره في المنام فقال له: ويلك ...مالك مت؟

قال الحمار: إنك ركبتني يوم كذا، فمررنا على باب الأصبهاني، فرأيت أتانا – أنثى الحمار – عند بابه، فعشقتها فمت.

وزعم بشار أن حماره أنشده المقطوعة التالية:

سيدي مل بعناني	نحو باب الأصبهاني
إن بالباب أتانا	فضلت كل أتان
تيمتني يوم رحنا	بثناياها الحسان
تيمتني ببنان	وبدل قد شجاني
وبحسن ودلال	سل جسمي وبراني
ولها خد أسيل	مثل خد الشيفران
فبها مت ولو عشـ	ـت إذن طال هواني

فقال أحد جلسائه: ما الشيفران؟ قال ما يدريني؟ هذا من غريب الحمر، فإذا لقيتم حمارا فسلوه.

ثانيا – في رمزيات التوظيف:

يتأسس فعل الكتابة على ما تمنحه من تصوير للواقع، غير أن التخييل بما هو اشتغال على عنصر الجمال يسهم بشكل كبير في فهم الخطاب والكشف عن دلالاته من خلال فعل التأويل وانفتاح النص. ومن هذا الموقع، تتحدد وظيفتنا كقراء ومتلقين نملك أحقية تأويل منطوق النص، ذلك أن القارئ شريك في استنطاق علامات النص والكشف عن اللامقول فيه والمغيب خلف جدران اللغة، وفي هذا السياق يتم تفعيل مقاربة التأويل التي تعمل على فك شفرات النص الحامل لدلالتين، دلالة تنطقها الكتابة – توظيف الحيوان – ودلالة تعزى إلى مرجعيات مختلفة – المقاصد والغايات –.

فما هي الأبعاد التي يرومها توظيف الحيوان في الخطاب الأدبي؟

احتل الأدب مكانة بارزة في تاريخ الإنسانية، فهو مرتبط بإشكالاتها وهواجسها، متأثر بقضاياها الاجتماعية والفردية، يطرح قضايا الذات/المجتمع/الوجود/ دون أن يفقد جوانبه الفنية والجمالية. ولما كان بمثل هذه الأهمية، راح يبحث عن آليات جديدة، ومجسمات نقدية قادرة على سبر غور هذه البنى الروائية المعقدة، وبالتالي فك شفراتها. واستنطاق المضمر فيها، متوسلا في هذا بجملة من الآليات والطرق الرمزية والتخييلية، في مقدمتها التواري خلف رمزية الحيوان التي لا تنفي اختلاف مقاصد الأدباء وتباين نواياهم، وتعدد طرقهم في استجلاء رمزية الحيوان في خطاباتهم الأدبية وتوظيفها ضمن أسيقة كثيرة.

وعلى هذا الأساس، فإن "كل خطاب ينطق به حيوان يكون مطابقا للواقع الذي يحتله هذا الأخير في مجمع الحيوان، والدور الذي يلعبه فيه، فيختلف دور الأسد عن دور ابن آوى أو الثعلب أو التمساح، وتلك تصاغ حسب الموقع الذي يحتله في قمة التراتب الحيواني، فيندرج سلوكه في إطار الدور المبرمج المخصص له مسبقا. وتستهدف المحاكاة الطريقة التي يجب أن يتصرح بها ويعبر بها، والنتيجة هي استنساخ نمط قد حددت سماته بصورة نهائية"[12].

[12] عبد الفتاح كليطو: المقامات: السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبوقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، المغرب، 2001، ص108

ولعل من أبرز النماذج السردية العربية المعاصرة التي احتفت بالحيوان كموضوع للدراسة أو جعلت الخطاب على ألسنة الحيوان: زمن الضباع لأشرف عشماوي، الفراشات والغيلان لعز الدين جلاوجي، حيوانات للصادق نهيوم، القندس لمحمد حسن علوان، إنسانزم لسعد سعيد، القرد الليبرالي لسفيان رجب، مذكرات كلب عراقي لعبد الهادي سعدون، رحلة باستيت الأخيرة لحامد عبد الصمد، خلدولوجيا لسعد سعيد وغيرها، وهي خطابات سعت باختلاف طرحها، إلى تحقيق جملة من الأبعاد السياسية والاجتماعية والفنية.

1-التجليات السياسية والإيديولوجية:

يسعى الأدب إلى تقديم كتابة جمالية ولغة شعرية وتجربة إنسانية، لا تخلو من تمرير رسائل مشفرة من شأنها أن تتيح خطابا للإيديولوجيا، فلا ننكر وجود قيم إيديولوجية تتخفى خلف خطاباتها وتتزيا باستعاراتها ورموزها، فالخطاب الإيديولوجي خطاب حتمي، فـ"لو لم تكن الإيديولوجيات موجودة أو انتهت، سيصبح العالم بلا معنى، والحياة ستصبح بلا هدف، ولا تستحق أن تعاش"[13]. فحتى من خلال مناهضتنا ونقدنا للإيديولوجيا نحن نسعى لتجسيد إيديولوجيا أخرى، فرفض الإيديولوجيا إيديولوجيا في حد ذاته. وما الأدب في محصلة الامر إلا " تجسيد للصراعات الدائرة باستمرار بين إيديولوجيات متشكلة ضمن البنية الثقافية – الاجتماعية، وهو في ذلك تجسيد للصراعات على مستويات أخرى ضمن البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية واللغوية"[14]. ومن ثمة كانت الرواية بما هي خطاب أدبي من منظور حميد لحميداني "نسقا من العلاقات يتأسس بالتناقضات التي تخلق عن طريق الأفكار الإيديولوجية الجاهزة في الواقع، إذ تدخل كل إيديولوجيا إلى الرواية متساوية مع غيرها، وكأنما تختبر صلابتها مواجهة الأسئلة التي توجه إليها من الطرف الآخر، وفي هذه الحالة تكون الرواية ذات بعد ديالوجي أو تخضع بعضها لبعضها بوسائل فنية تلهي القارئ عن معرفة ما يجري من تواطؤ ضد ملكاته الإدراكية، وفي هذه الحالة تكون الرواية ذات طابع مونولوجي ومظهر ديالوجي".[15]

إن القصص على لسان الحيوان جاء استجابة لصراع الأفكار وتداخل الإيديولوجيات واحتدام السياسات، الأمر الذي فرض على المبدع أن يتوسل بهذا النمط قناعا يخفي من خلاله أفكاره وتوجهاته.

إذ يتوارى الأديب خلف مجموعة من الحيوانات ليحقق أغراضا سياسية ويخفي إيديولوجيته ويناقش قضايا الحكم وسلوكيات الحكام وسلبياتهم على ألسنة الحيوان.

والحق أنها طريقة آمنة للبوح والتكشف بعيدا عن محاكم التفتيش وحراس النوايا. فالكاتب يمكنه أن يمارس حق النقد ويوجه معول الشك والسخرية دون أن يخشى غطرسة حاكم أو ظلم ملك، فهذا النوع من الكتابة آمن على حياة الأديب وقرائه وأتباعه.

2-التجليات التعليمية والتوجيهية:

رغم أن الأسلوب الكتابي الغالب في الأدب على لسان الحيوان يشتمل على السخرية والطرافة، إلا أن هذا لا يلغي دلالاته ومعانيه التعليمية، من خلال العبر والحكم والنهايات القاسية التي تصل إليها الشخصيات. حيث تعمل على تفعيل الفكر وتحرير الرؤية النقدية للقارئ، فتتجاوز النظرة السطحية إلى معان عميقة وجوهرية، تستلزم من قارئها البحث والمساءلة وصولا إلى المكاشفة.

---

13 عادل ضرغام: في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 18.

14 كمال أبو ديب: الأدب والإيديولوجيا، مجلة فصول، مجلد 5، عدد4، الجزء2، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1985، ص57.

15 حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص43،42.

ولعلنا في هذا الصدد نستذكر النهج الذي أورده ابن المقفع وهو يرمم قارئ النصوص على ألسنة الحيوانات فيقول: "ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له والرموز التي رمزت فيه، وإلى أية غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم، وأضافه إلى غير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني، ولا أي ثمرة يجتني منها، ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب. وإنه إن كانت غايته منه استتمام قراءته والبلوغ إلى آخره دون تفهم ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء يرجع إليه نفعه"[16].

وهذا يعني أن الكتابة على لسان الحيوان من شأنها أن تخلق نمطا تعليميا، يتحرى النصح والإرشاد، دون أن يتنكر للمتعة والتشويق، كما تقدم نقدا للسلوكيات السلبية في الأفراد والمجتمعات عبر تمثيلها بالحيوان المناسب للغرض والسياق.

3-التجليات الجمالية والفنية

لئن كان الأدب يحظى بجمالياته كلما زادت رمزيته، فإن استثمار الحيوان وتوظيفه في الأدب لا يخرج عن دائرية الجماليات، ولما كان الرمزي علامة دالة وموحية تؤثث لتوالد الدلالات وتحقق مبدأ الاستعارات، فإن الخطاب الأدبي الذي يتوسل بالحيوان تمثيلا وتعبيرا وتدلالا يكشف عن فنيات التشكيل وجماليات الكتابة ودلالات رمزية بعيدا عن التجسيد الواقعي المباشر، لتتحول هذه الرمزية إلى وسيلة للإثارة الفنية والاستفزاز الأدبي المقنع.

وهذا ما يمنح القارئ نوعا من التشويق البالغ، واللذة الطريفة التي تخلقها الرمزية القابعة خلف كل حيوان، إذ يُعمل القارئ فكره بحثا عن دلالات هذه الحيوانات، وما يخفيه خطاب الحكاية من أسرار وألغاز. وهذا ما يبرر جماليات التكثيف والترميز والتخييل التي تتجسد في الكتابة على ألسنة الحيوانات ليتعانق الواقع بالتخييل وتخرج الكتابة نحو أفق أرحب يؤسس لجمالية وشعرية اللغة.

ختام القول، بعد هذا التطواف في الأدب العربي المتوسل بالحيوان تمثيلا وتصويرا وسردا للأحداث، ونقدا للسلوكيات والممارسات السلبية، نصل إلى أن الاحتفاء بالحيوان قديم قدم الإنسان، حيث استُثمر في الأساطير والخرافات والآداب العالمية والقصص الشعبي والقصص القرآني والأشعار قديمها وحديثها، وقد تنوعت أغراضه وتباينت مقاصده، محافظة بين هذا وذاك على القيمة المعرفية والجمالية لهذا التوظيف.

المراجع

أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، ج1، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، سنة 1969.

أحمد بهجت: قصص الحيوان في القرآن، دار الشروق، ط4، سنة 2000.

بديع محمد جمعة: دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، سنة 1980.

حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، سنة 1990.

ديوان مالك بن الريب، تحقيق: د. نوري محودي القيس، مستل من جملة معهد المخطوطات العربية، مج 15.ج1.

شمس الدين محمد الذهني: سير أعلام النبلاء، تح وإش: صالح السمر، شعيب أرنؤوط، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، سنة 1982/1402.

[16] محمد رجب النجار، النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، فنونه مدارسه، اعلامه، ط1، الكويت، 1996، ص32.

عادل ضرغام: في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، سنة 2010.
عبد الفتاح كليطو: المقامات: السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبوقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، المغرب، سنة 2001.
القرطبي يوسف بن عبد الله بن محمد: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي، الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.
كمال أبو ديب: الأدب والإيديولوجيا، مجلة فصول، مجلد 5، عدد4، الجزء2، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، سنة 1985.
محمد رجب النجار: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، فنونه، مدارسه، أعلامه، ط1، الكويت، سنة 1996.
محمد غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه الأدب العربي المعاصر، دار العودة، سنة 1987.